قطاع الثقافة

السيرة النبوية

لابن إسحاق

المجلد الثاني الجزء ٨

ثم قال تـعالى : ﴿ **يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين** ﴾ ثم قال : ﴿ **ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون** ﴾ (١) ... إلى قوله تعالى : ﴿ **إنْ نَعفُ عن طائفة منكم نعذِّب طائفة** ﴾ (٢) ، وكان الذى قال هذه المقالة وديعة بن ثابت ، أخو بنى أمية بن زيد ، من بنى عمرو بن عوف ، وكان الذى عفى عنه ، فيما بلغنى : مخشن ابن حُمير الأشجعى ، حليف بنى سلمة ، وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع .

ثم القصة من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى : ﴿ **يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير * يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهمّوا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله** ﴾ ... إلى قوله : ﴿ **من وليٍّ ولا نصير** ﴾ (٣) وكان الذى قال تلك المقالة الجلاس بن سويد بن صامـت ، فرفعها عليه رجل كان فى حجره ، يقال له عمير بن سعد ، فأنكرها وحلف بالله ما قالها ، فلما نزل فيهم القرآن تاب ونزع ، وحسنت حاله وتوبته : فيما بلغنى .

ثم قال تعالى : ﴿ **ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدَّقن ولنكونن من الصالحين** ﴾ (٤) وكان الذى عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وهما من بنى عمرو بن عوف .

ثم قال : ﴿ **الذين يلمزون المطَّوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم** ﴾ (٥) وكان المطوعون من المؤمنين فى الصدقات : عبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن عدى أخا بنى العجلان ، وذلك أن رسول الله ﷺ رغّب فى الصدقة ، وحض عليها ، فقام عبد الرحمن بن عوف ، فتصدق بأربعة آلاف درهم ، وقام عاصم بن عدى ، فتصدق بمائة وسق من تمر ، فلمزوهما وقالوا ما هذا إلا رياء ، وكان الذى تصـدق بجـهده أبو عقيل أخو بنى أنيف ، أتى بصاع من تمر ، فأفرغها فى الصدقة ، فتضاحكوا به ، وقالوا : إن الله لغنى عن صاع أبى عقيل .

---

(١) سورة التوبة : الآية ٦٥ .
(٢) سورة التوبة : الآية ٦٦ .
(٣) سورة التوبة : الآية ٧٣ - ٧٤ .
(٤) سورة التوبة : الآية ٧٥ .
(٥) سورة التوبة : الآية ٧٩ .

ثم ذكر قول بعضهم لبعض ، حين أمر رسول الله ﷺ بالجهاد ، وأمر بالسير إلى تبوك ، علي شدة الحر وجدب البلاد . فقال تعالى : ﴿ **وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرًّا لوكانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرًا** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ولا تعجبك أموالهم وأولادهم** ﴾ (١) .

ما نزل بسبب الصلاة على ابن أُبيّ : قال ابن إسحاق : حدثنى الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : لما توفى عبد اللهبن أُبى ، دعى رسول الله ﷺ للصلاة عليه ، فقام إليه ، فلما وقف عليه يريد الصلاة ، تحولت حتى قمت فى صدره فقلت : يا رسول الله أتصلى على عدو الله عبد الله بن أُبى ابن سلول ؟ القائل كذا يوم كذا . والقائل كذا يوم كذا أعدد أيامه له ، ورسول الله ﷺ يتبسم حتي إذا أكثرتُ قال : يا عمر ، أخِّر عنى ، إنى قد خُيرت فاخترت ، قد قيل لى : ﴿ **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهُم** ﴾(٢) فلو أعلم أنى إن زدت على السبعين غُفر له ، لزدت . قال : ثم صلى عليه رسول الله ﷺ ، ومشى معه حتى قام على قبره ، حتى فرغ منه . قال : فعجبت لى ولجراءتى على رسول الله ﷺ والله ورسوله أعلم . فوالله ما كان إلا يسيرًا حتى نزلت هاتان الآيتان : ﴿ **ولا تصل على أحد منهم مات أبدًا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون** ﴾ (٣). فما صلى رسول الله ﷺ بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى .

• ما نزل في المستأذنين والمعذَّرين والبكَّائين ومنافقى الأعراب :

قال ابن إسحاق : ثم قال : ﴿ **وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم** ﴾ (٤) وكان ابن أُبى من أولئك ، فنعى الله ذلك عليه ، وذكره منه ، ثم قال تعالى : ﴿ **لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون * أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم * وجاء المعذرون من الأعراب**

(١) سورة التوبة : ٨١ – ٨٥ . (٢) سورة التوبة : ٨٠

(٣) سورة التوبة : ٨٤ . (٤) سورة التوبة : ٨٦ .

ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ﴾ (١) · آخر القصة · وكان المعذرون ، فيما بلغنى نفرًا من بنى غِفار ، منهم خفاف بن إيماء بن رحضة ، ثم كانت القصة لأهل العذر ، حتى انتهى إلى قوله : **﴿ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحـــملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألا يجدوا ما ينفقون ﴾** وهم البكاءون ·

ثم قال تعالى : **﴿ إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون ﴾** (٢) والخوالف : النساء · ثم ذكر خلفهم للمسلمين واعتذارهم ، فقال : **﴿ فأعرضوا عنهم ﴾** ·· إلى قوله تعالى : **﴿ فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾** (٣) ·

ثم ذكر الأعراب ومن نافق منهم وتربصهم برسول الله ﷺ وبالمؤمنين ، فقال تعالى : **﴿ ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق ﴾** أى من صدقة أو نفقة فى ســبيل الله **﴿ مغرمًا ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السَّوء والله سميع عليم ﴾** (٤).

● ما نزل فى المخلصين من الأعراب :

ثم ذكر الأعراب أهل الإخلاص والإيمان منهم ، فقال : **﴿ ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم ﴾** (٥) ·

ما نزل فى السابقين من المهاجرين والأنصار : ثم ذكر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وفضلهم ، وما وعدهم الله من حسن ثوابه إياهم ، ثم ألحق بهم التابعين لهم بإحسان فقال : **﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾** (٦) ثم قال تعالى : **﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق ﴾** (٧) : أى لجوا فيه ، وأبوا غيره **﴿ سنعذبهم مرتين ﴾** ، والعذاب الذى أوعـــده الله تعالى مرتين ، فيما بلغنى غمهم بما هم فيه من أمر الإسلام ، وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة ، ثم عذابهم فى القبور إذا صاروا إليها ، ثم العذاب العظيم الذى يردون إليه ، عذاب النار ، والخلد فيه · ثم قال تعالى : **﴿ وآخرون اعترفوا**

---

(١) سورة التوبة : ٨٨ – ٩٠ · (٢) سورة التوبة : ٩٢ – ٩٣ ·

(٣) سورة التوبة : ٩٦ · (٤) سورة التوبة : ٩٩ ·

(٥) سورة التوبة : ٩٩ · (٦) سورة التوبة : ١٠٠ · (٧) سورة التوبة : ١٠١ ·

بذنوبهم خلطوا عملاً صالحا وآخر سيئًا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم ﴾ [١] .

ثم قال : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾ [٢] إلى آخر القصة ، ثم قال تعالى : ﴿ **وآخرون مرجون لأمر الله إمّا يعذبهم وإما يتوب عليهم** ﴾ [٣] ، وهم الثلاثة الذين خلفوا ، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرهم حتى أتت من الله توبتهم ، ثم قال تعالى : ﴿ **والذين اتخذوا مسجداً ضرارا**﴾ [٤] إلى آخر القصة ثم قال تعالى : ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة** ﴾[٥] ثم كان قصة الخبر عن تبوك ، وما كان فيها إلى آخر السورة .

وكانت براءة تُسمى فى زمان النبى ﷺ وبعده المبعثرة ، لما كشفت من سرائر الناس ، وكانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ .

* * *

---

(١) سورة التوبة : ١٠٢ .
(٢) سورة التوبة : ١٠٣ .
(٣) سورة التوبة : ١٠٦ .
(٤) سورة التوبة : ١٠٧ .
(٥) سورة التوبة : ١١١ .

حَسَّان يُعَدِّد مَغَازيه ﷺ شعرًا

وقال حسان بن ثابت يذكر أيام الأنصار مع النبى ﷺ ، ويذكر مواطنهم معه أيام غزوه :

أَلستَ خير مَعْد كُلها نَفرًا ... ومعشرًا إن هُم عَموا وإن حَصلوا (١)
قَومٌ شَهدوا بدرًا بأجمعهم ... معَ الرسول فما آلوا وما خذَلُوا (٢)
وبَايعوه فلم يَنكث به أَحدٌ ... منهم ولم يك فى إيمانهم دَخلُ (٣)
وَيوم صبحهم فى الشِّعب من أَحد ... ضَرب رصين كحر النار مُشتعلُ (٤)
ويَوم ذى قِرد يَوم استثار بهم ... على الجيادِ فما خَاموا وما نَكُلوا (٥)
وذَا العشيرة جَاسوها بخيلهم ... مع الرسول عليها البِيضُ والأسلُ (٦)
ويوم ودانِ أجلوا أهله رقصًا ... بِالخيلِ حتى نهَانا الحزن والجبلُ (٧)
وَليلةٌ طَلبوا فيها عَدوهم ... للهِ واللهُ يجزيهم بِما عَملُوا
وَغزوةٌ يوم نجد ثم كان لهم ... مع الرسول بها الأسْلابُ والنَّفَلُ
وليلةٌ بحُنين جَالدوا معه ... فيهَا يعلهم بالحرب إذ نَهلوا (٨)
وَغزوةَ القاعِ فرقنا العدو به ... كما تفرق دون المشرب الرسلُ (٩)
ويَوم بُويع كانوا أهل بيعته ... على الجلاد فآسوه وما عدلُوا

(١) حصلوا : أصلها بتشديد الصاد وخففها لضرورة الشعر . ومعنى حصلوا : جمعوا .

(٢) فما آلوا : ما قصروا . (٣) دخل : فساد .

(٤) رصين : ثابت الحكم . (٥) خام : جبن وتراجع .

(٦) جاسوها : وطئوها . البيض : السيوف . الأسل : الرماح .

(٧) الرقص : نوع من المشى . الحزن : الأرض الغليظة المرتفعة .

(٨) يعلهم : يكرر عليهم ، من العلل وهو الشرب الثانى ، نهلوا : شربوا الشرب الأول . (٩) الرسل : الإبل .

وَغزوة الفتح كانـــوا فى سريته ... مرابطين فـــما طاشوا وما عجلُوا
وَيوم خيبـــــر كانوا فى كتيبته ... يمشون كلهم مستبـــسل بطلُ
بالبيضِ ترعشُ فى الأيمان عاريةً ... تعوج فى الضـــرب أحيانا وتَعتدلُ
ويومَ سار رســـولُ اللهِ محتسبًا ... إلى تبـــوك وَهم راياته الأُولُ
وَساسة الحرب إن حرب بدتْ لهم ... حَتى بدا لهم الإقبال والقفلُ (١)
أولئك القوم أنصارُ النبىِّ وهم ... قومى أَصيرُ إليهـــم حِين أتصلُ
مَاتوا كِرامًا ،ولم تَنكثْ عهودهُمُ ... وقتلهم فى سبيـــل الله إذْ قُتلوا

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضًا :

كُنا ملوكَ النـــاس قَبل مُحمد ... فلما أتى الإسلام كان لنا الفَضلُ
وأكرمنَا اللهُ الـــذى ليس غَيرهُ ... إله بأيامٍ مضتْ ما لهـــا شكلُ
بِنصر الإلهِ والرســـولِ وَدِينه ... وألبسناه اسمًا مضَى مَا لـــه مثَلُ
أَولئكَ قومـــى خَير قومٍ بأسرهم ... فما عد من خير فقـــومى له أهلُ
يربُون بالمعروف معروف من مضى ... وليس عليهم دون معروفهم قفلُ (٢)
إذا اختَبطوا لم يفحشوا فى نديهم ... وليس علـى سؤالهم عندهم بخل (٣)
وإن حَاربوا أو سَالموا لم يشبهوا ... فحربهم حتف وسلـــمهم سَهلُ
وجَارهم موف بعليـــاء بيته ... له - ما ثوى فِينا - الكرامة والبذلُ
وَحاملهم مُوف بكـــل حُماته ... تحمل لا غـــرم عليها ولا خَذلُ
وقائلهم بالحـــق إن قال قائلٌ ... وحِلمهم عـــود وحُكمهم عدلُ (٤)
ومنَّا أمير المسلـــمين حياته ... ومن غسلـــته من جنابته الرُّسلُ (٥)

(١) القفل : الرجوع ·   (٢) يربون : يصلحون ·

(٣) اختبطوا : قصدوا ·   (٤) عود : متكرر·

(٥) أمير المسلمين : هو سعد بن معاذ فإن الأنصار تزعم أن الرسول قال للمبسلمين جميعا مهاجرين وأنصار قوموا إلى سيدكم · أما من غسلته الملائكة ، هو حنظلة المدعو غسِيل الملائكة وهو أنصارى ·

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضًا :

قَومِى أولئـــكَ إنْ تسألِى ... كِرام إذا الضيفُ يوماً أَلَمْ.
عِظامُ القُدورِ لأيســارهم ... يكبون فيها المسن السنمْ (١)
يواسون جَارهــم فى الغِنى ... ويحمون مَولاهــم إن ظُلِمْ
فكانوا ملوكًا بأرضيـــهم ... ينادون عضبًا بأمـــر غَشِمْ
مُلوكًا على الناس ، لم يملكوا ... من الدهر يومًا كحل القَسم (٢)
فَأنبوا بِعاد وأشيَاعهـــا ... ثَمود وبعض بقَايا إرمْ (٣)
بيَثرب قد شيَّدوا فى النخيل ... حصونًا ودجن فيها النَّعمْ (٤)
نَواضح قد علمتهــا اليهو ... دُعِلل إليك وقولاً هَلمْ (٥)
وفيما اشتهوا من عَصير القطا ... فِ والعيش رخوا على غيرهم
فَسرنَا إليهم بأثقـــالنا ... على كل فحل هِجان قَطِمْ (٦)
جَنبنا بهن جِياد الخيـــو ... لِ قد جللوها جلال الأدمْ (٧)
فَلما أناخُوا بجنبى صِرار ... وشدوا السروجَ بلى الحزمْ
فَما راعهم غير معج الخيول ... والزحف من خلفهِم قد دهِمْ (٨).
فَطاروا سراعا وقد أفزعوا ... وجئنا إليهم كأسد الأجمْ
عَلى كل سلهبة فى الصيا ... نِ لا يشتكين نحول السأمْ (٩)
وكَل كَميتٍ مطار الفؤادِ ... أَمين الفصوص كمثل الزلم (١٠)

---

(١) الأيسار : من يدخلون فى الميسر ٠ المسن : الكبير ٠ السنم : عظيم السنام ٠
(٢) حل القسم : يراد بها المدة القصيرة ٠ (٣) أنبوا : أنبئوا ٠
(٤) دجن : اختفت فى البيوت ٠
(٥) النواضح : الإبل التى يسقى عليها الماء ٠ عل : كلمة تزجر بها الإبل ٠
(٦) الهجان: الأبيض ٠ قطم : المشتهى الضراب ٠
(٧) جنبنا : قدنا إلى جنبنا ٠ جللوها : غطوها ٠ الأدم : الجلد ٠
(٨) معج : مسرعة ٠ (٩) السلهبة : الفرس السريعة ٠
(١٠) مطار : ذكى ٠ أمين الفصوص : ما قوي من العظام ٠ الزلم : القدح ٠

عَلَيها فوارسُ قــــد عودوا قراع الكمان وضرب البهمْ (١)
مُلُوكٌ إذَا غَشموا فى البلاد لا يَنكلون ولكـــن قَدَمْ (٢)
فأبنا بساداتهم والنســاء وأولادهم فيهم تقتســـمْ
وَرِثنا مساكِنهم بعـــدهم وكُنَّا ملوكا بـــها لم نرم
فَلمَا أتانا الرسول الرشيـــد بالحق والنور بعد الظُّلمْ
قلنا صدقتَ رسولَ المليك هلم إلينا وفيـــنا أقمْ
فَنشهد أنكَ عبـــد الإلـــه أرسلت نوراً بدين قِيمْ
فإنا وأولادنـــا جُنَّةٌ نَقيك وفى مالنا فاحتـــكمْ
فَنحنُ أولئـــك إنَ كُذبوكَ فناد نداءً ولا تحتشـــم
وناد بمـــا كُنت أخفيتهُ نداءً جهاراً ولا تكتـــتمْ
فصارَ الغـــواة بأسيافهم إليه يظنون أن يخـــترم (٣)
فقمنا إليـــهم بأسيافنا نُجالد عـــنه بغاة الأممْ
بكل صقيـــل له ميعة رقيق الذباب عضوض خذمْ (٤)
إذا ما يصادف صـــم العظام لم ينب عنها ولم ينثلمْ
فذلك ما ورثتنـــا القروم مجداً تليداً وعزا أشمْ (٥)
إذا مر نســـل كَفى نَسله وغادر نسلا إذا ما انفصم (٦)
فما إنْ من النـــاس إلا لنا عليه وإن خَاس فضل النعمْ (٧)

---

(١) البهم : الأبطال الشجعان ·

(٢) غَشموا : اشتد ظلمهم ، لا ينكلون : لا يرجعون هائبين ·

(٣) يخترم : يهلك ·

(٤) له ميعة أى مصقول يشبه المائعات فى بريقه وصفائه · الذباب : حد السيف ، خذم : قاطع ·

(٥) القروم : السادة · التليد : القديم · الأشم : العالى ·

(٦) انفصم : انقرض ·

(٧) خاس : غدر ·

ذِكْرُ سَنَة تسع وتَسميتها سنة الوفود ونزول سورة الفتح [١]

قال ابن إسحاق : لما افتتح رسول الله ﷺ مكة ، وفرغ من تبوك ، وأسلمت ثقيف وبايعت ، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه [٢] .

• انقياد العرب وإسلامهم :

قال ابن إسحاق : إنما كانت العرب تربص بالإسلام أمر هذا الحى من قريش وأمر رسول الله ﷺ ، وذلك أن قريشًا كانوا إمام [٣] الناس وهاديهم ، وأهل البيت الحرام ، وضريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقادة العرب لا ينكرون ذلك ، وكانت قريش هى التى نصبت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه ، فلما افتتحت مكة ، ودانت [٤] له قريش ، ودخلها الإسلام وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته ، فدخلوا فى دين الله ، كما قال عز وجل : أفواجًا يضربون [٥] إليه من كل وجه ، ويقول الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجًا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا** ﴾ [٦] .

* * *

---

(١) يقصد هنا سورة النصر .

(٢) قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيد أن ذلك كان فى سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود .

(٣) أى القدوة .

(٤) أى خضعت له واعترفت به .

(٥) أى يأتون إليه ، يضربون إليه أكباد الإبل : أى يأتون إليه من كل مكان محمولون على الإبل .

(٦) سورة النصر بأكملها وهى مدنية ، وتسمى سورة « التوديع » وهى ثلاث آيات ، وهى آخر سورة نزلت جميعًا – أى كاملة –. انظر تفسير القرطبى ١٠ / ٧٥٧٤ ط . دار الغد العربى .

قُدُوم وفَدِ بَنى تَميم ونزول سورة الحجرات

• رجال الوفد

فقدمت على رسول الله ﷺ وفود العرب ، فقدم عليه عطارد بن حاجب (١) ابن زرارة بن عدس التميمى ، فى أشراف بنى تميم ، منهم الأقرع بن حابس التميمى والزبرقان بن بدر التميمى ، أحد بنى سعد ، وعمرو بن الأهتم والحبحاب بن يزيد .

قال ابن إسحاق : وفى وفد بنى تميم نُعيم بن يزيد ، وقيس بن الحارث ، وقيس بن عاصم : أخو بنى سعد ، فى وفد عظيم من بنى تميم .

قال ابن إسحاق : ومعهم عُيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى ، وقد كان الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحُنينا والطائف .

أصحاب الحجرات : فلما قدم وفد بنى تميم كانا معهم ، فلما دخل وفد بنى تميم المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء حجراته : أن اخرج إلينا يا محمد ، فآذى ذلك رسول الله ﷺ من صياحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئناك نفاخرك ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا . قال : قد أذنت لخطيبكم فليقل .

كلمة عُطَارد : فقام عطارد بن حاجب ، فقال :

الحمد لله الذى له علينا الفضل والمنّ ، وهو أهله ، الذى جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا ، وأيسره عدة ، فمن مثلنا فى الناس وأولى فضلهم؟! فمن فاخر فليعدد مثل ما عددنا ، ولو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وإنا نُعرف بذلك .

أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا ، ثم جلس .

ثابت بن قيس يرد على عطارد :

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن الشماس ، أخى بنى الحارث ابن الخزرج : قم ، فأجب الرجل فى خطبته : فقام ثابت ، فقال :

---

(١) هو أحد بنى دارم بن مالك وكذلك الأقرع بن حابس .

الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه علمه ، ولم يك شىء قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا ، واصطفى من خير خلقه رسولا ، أكرمه نسبا ، وأصدقه حديثا ، وأفضله حسبا ، وأنزل عليه كتابه وأئمنه على خلقه ، فكان خيرة الله من العاملين ، ثم دَعا الناس إلى الإيمان به ، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرم الناس حسباً ، وأحسن الناس وجوهاً وخير الناس فعالاً ، ثم كان أول الخلق إجابة ، واستجاب لله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن ، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله · فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه · ومن كفر جاهدناه فى الله أبداً ، وكان قتله علينا يسيرا · أقول قولى هذا وأستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم ·

● **شعر الزبرقان فى الفخر بقومه :**

فقام الزبرقان بن بدر فقال :

نحنُ الكرامُ فَلا حَـــىّ يُعادلنا ... مِنَّا الملوكُ وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ (١)

وَكم قَسرنا من الأحيـــاء كُلهم ... عند النِّهاب وفضـــل العز يتبعُ

وَنحن نُطعِم عند القحطِ مَطعمنا ... من الشواء إذا لم يؤنَس القزعُ (٢)

بما ترى النَاس تَأتينا سُراتهم ... مِن كل أرض هويًا ثم نصطنعُ (٣)

فَننحر الكُومَ عِبطًا فــى أَرُومَتنا ... للنازلينَ إذا ما أُنزلوا شَبَعُوا (٤)

فَلا تَرانا إلى حَـــىٍّ نُفاخرهُمْ ... إلا استفادوا فكانوا الرأس يقتطعُ

فَمن يُفاخرنَا فى ذاك نعــــرفهُ ... فَيرجعُ القوم والأخبار تُستَمعُ

إنا أَبينا ولاَ يأبَى لَنا أَحــــدٌ ... إِنَّا كذلك عِنْد الفخرِ نَرتفعُ

---

(١) البيع : أماكن العبادة والصلاة ·

(٢) القزع : السحاب الرقيق ليس فيه مطر

(٣) هويا : سراعًا ·

(٤) الكوم : النوق عظام الأسنمة ، عبطا : بلا سبب ، الأرومة : الكرم ، وتأتى أيضًا بمعنى الأصل ·

● **حسان يرد على الزبرقان :**

قال ابن إسحاق : وكان حسان غائبًا ، فبعث إليه رسول الله ﷺ ، قال حسان : جاءنى رسوله ، فأخبرنى أنه إنما دعانى لأجيب شاعر بنى تميم ، فخرجت إلى رسول الله ﷺ وأنا أقول :

مَنعنا رسولَ الله إذ حَلَّ وسـطنا ... على أنْف راض من معـد وراغم
مَنعناه لَمَّا حـل بين بيـوتنا ... بأسيافنـا من كل بَاغٍ وَظَالَم
ببيت حـريد عزه وثـراؤه ... بجابية الجولان وسَـط الأعاجِم (١)
هل المجد إلا السودَدُ العود والنـدى ... وجاه الملوك واحتمـال العظائمْ (٢)

قال : فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ ، وقام شاعر القوم ، فقال ما قال ، عَرضت فى قوله ، وقلت على نحو ما قال . قال : فلما فرغ الزبرقان ، قال رسـول الله ، لحسان بن ثابت : قم يا حسان ، فأجب الرجل فيما قال : فقام حسان ، فقال :

إنَّ الذوائِبَ مِنْ فهـر وإخوتهم ... قَد بيَّنوا سُنَّة للناس تُتَّبَعُ (٣)
يَرضَى بهم كُلُّ من كَانت سَريرته ... تَقوى الإله وكل الخير يصطَنعُ
قَومٌ إذَا حاربوا ضَرُّوا عَدوهم ... أوَ حاولوا النفعَ فى أشياعهم نَفعُوا
سَجِيةٌ تِلك منهـم غَير مُحدثة ... إنَّ الخلائق فاعلم شَرها البِدَعُ (٤)
إنْ كان فى الناسِ سبَّاقون بعدهم ... فكُل سَبَق لأدنـى سَبْقهم تَبعُ
لاَ يرقع الناسُ ما أوهـت آكفهم ... عِنْدَ الدفاع ولا يوهون ما رقعُوا (٥)
إن سابقوا الناس يوما فاز سبقهم ... أو وازنوا أهل مجد بالندى متعوا (٦)
أعفة ذُكرت فى الوحـى عفتهم ... لا يَطبعون ولا يـرد بهم طَمعُ (٧)
لا يبخلونَ علـى جارٍ بفَضْلِهم ... ولا يمسهم مـن مَطمع طَبعُ (٨)

(١) الحريد : الفريد فى العز . الجولان : بلد بسوريا ، والمراد أن عزهم قديم متصل بحضارة الغساسنة فى الشام .

(٢) السودد : المجد ، والعود : المتكرر .

(٣) الذوائب : السادة الأشراف .

(٤) السجية : الطبيعة .

(٥) أوهت : هدمت .

(٦) متعوا : زادوا وارتفعوا .

(٧) لا يطبعون : لا يتدنسون .

(٨) طبع : دنس .

إذا نَصبنا لحىٍّ لم نَدب لهم … كما يدب إلى الوحشية الذُّرعُ (١)
نَسمُو إذا الحرب نالتنا مَخالبها … إذا الزعانف من أظفارها خَشعُوا (٢)
لاَ يفْخرونَ إذا نَالوا عَدوَّهم … وإن أُصيبوا فَلا خَور ولا هَلعُ (٣)
كأنهم فى الوَغى والموت مُكتَنعٌ … أُسد بحليةٍ فى أرساغها فَدعُ (٤)
خُذ منهم ما أتى عفواً إذَا غَضبوا … ولاَ يكن همك الأمر الذى منَعُوا
فَإنَّ فى حربهم - فاترك عَداوتهم … شرا يخاض عليه السُّمُّ والسلعُ (٥)
أكْرم بقومٍ رَسولُ اللهِ شيعتهم … إذا تفاوتت الأهواءُ والشِّيعُ
أُهدى لهم مدحتى قلب يؤازره … فيما أحب لسان حَائك صَنعُ
فَإنهم أفضلُ الأحياء كلهم … إن جد بالناس جَد القول أو شَمعُوا(٦)

شعر آخر لحسان فى الرد على الزبرقان : وقال حسان بن ثابت أيضا :

هَلِ المجدُ إلا السوددُ العود والندى … وجاه الملوك واحتمال العظائمِ
نَصَرنا وآوينا النبى محمدًا … على أنف راض من معد وراَغمِ
بحى حَريد أصله وثراؤه … بجابية الجولان وسط الأعاجمِ
نَصرناه لما حل وسط ديارنا … بأسيافنا من كل باغٍ وظالمِ
جَعلنا بَنينا دونهُ وبناتنا … وطبنا له نفسًا بفَىء المغانمِ
ونحنُ ضَربنا الناس حتى تتَابعوا … على دِينه بالمرهَفَاتِ الصوارمِ

---

(١) نصبنا : أظهرنا العداوة ، الذرع : ولد بقرة الوحش .
(٢) نسمو : ننهض ، الزعانف : يريد بها أطراف الناس ، خشعوا : تذللوا .
(٣) الخور : الضعف .
(٤) مكتنع : قريب ، حلية : مكان باليمن تكثر فيه الأسود ، الأرساغ : جمع رسغ وهو ما بين الساق والقدم ، فدع : اعوجاج .
(٥) السلع : نبات سام .
(٦) شمعوا : هزلوا .

ونحنُ وَلدنا مـــن قريش عَظيمها ولدنا نبى الخير من آل هاشمِ (١)
بنى دارم لا تفخروا إنَّ فخركم يعودُ وبالا عـــــند ذكر المكارمِ
هبلتم علينا تفخـــــرون وأنتم لنا خَوَل ما بـــين ظئر وخادمِ (٢)
فإن كنتم جئــــتم لحقنِ دمائكم وأموالكم أن تقسموا فى المقاسمِ
فَلا تجعلـــــوا لله ندًّا وأسْلموا ولا تلبســـوا زيًّا كَزىِّ الأعاجمِ

إسلام الوفد : قال ابن إسحاق : فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس : وأبى ، إن هذا الرجـل لَمُؤتى له (٣) ، ولخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا ، فلما فرغ القوم أسلموا · وجوزهم (٤) رسول الله ﷺ ، فأحسن جوائزهم ·

شعر ابن الأهتم فى هجاء قيس : وكان عمرو بن الأهتم قد خلفه القوم فى ظهرهم (٥) ، وكان أصغرهم سنا · فقال قيس بن عاصم ، وكان يبغض عمرو بن الأهتم : يا رسول الله ، إنه قد كان رجل منا فى رحالنا ، وهو غلام حدث ، وأُزرى به فأعطاه رسول الله ﷺ مثلما أعطى القوم ، فقال عمرو بن الأهتم حين بلغه أن قيسًا قال ذلك يهجوه :

ظَلَلْتُ مفترشَ الهَلْباء تشتـــمُنى عندَ الرسولِ فلم تصدق ولم تصبِ (٦)
سدناكم سؤددا رَهوًا وســؤددكم باد نواجذه مقـــــع علىَ الذَّنبِ (٧)

قال ابن إسحاق : وفيهم نزل من القرآن : ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون** ﴾ (٨) .

* * *

(١) ذلك أن أم عبد المطلب من أهل يثرب ·
(٢) هبلتم : ثكلتم · الخول : العبيد والخدم ، الظئر : المرضعة غير ولدها ·
(٣) مؤتى له : أى موفق · (٤) أى أعطاهم جائزة ومكافئة ·
(٥) ظهرهم : إبلهم ·
(٦) الهلباء : ما غلظ من الشعر وصلب ·
(٧) رهوًا : متسعًا ،النواجذ : الأسنان ، مقع : جالس ·
(٨) الحجرات : الآية ٤ ·

قِصَّةُ عَامِرِ بن الطُّفَيل وأَرْبَد بن قَيْسٍ فِى الوفادة عن بنى عَامر

● رؤساء الوفد :

وقدم على رسول الله ﷺ وفد بنى عامر ، فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر ، وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم ·

● عامر يدبِّر الغدر بالرسول ﷺ :

فقدم عامر بن الطفيل عدو الله ، على رسول الله ﷺ ، وهو يريد الغدر به ، وقد قال له قومه : يا عامر ، إن الناس قد أسلموا فأسلم ، قال : والله لقد كنت آليت أن لا أنتهى حتى تتبع العرب عقبى ، أفأنا آتبع عقب هذا الفتى من قريش ، ثم قال لأربد : إذا قدمنا على الرجل ، فأنى سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فاعله [1] بالسيف ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ ، قال عامر بن الطفيل : يا محمد خالنى [2] ، قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده · قال : يا محمد خالنى – وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان آمره به – فجعل أربد لا يحير شيئًا ، قال : فلما رأى عامر ما يصنع أربد ، قال : يا محمد خالنى ، قال : لا ، حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له ، فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال . . . لأملأنها عليك خيلا ورجالا ، فلما ولى قال رسول الله ﷺ ، اللهم اكفنى عامر ابن الطفيل · فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ ، قال عامر لأربد : ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندى على نفسى منك · وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبدًا · قال : لا أبالك ، لا تعجل علىَّ ، والله ما هممت بالذى أمرتنى به من أمره إلا دخلت بينى وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف [3] ؟

---

(١) أى اقتله به ·   (٢) أى اتخذنى خليلاً وصاحبًا ·

(٣) وهذه من معجزات الله إذ أخفى نبيه عن وجه هذا الكافر ليرد كيده فى نحره ·

موت عامر بدعاء الرسول عليه : وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث على عامر بن الطفيل الطاعون فى عنقه ، فقتله الله فى بيت امرأة من بنى سلول ، فجعل يقول: يا بنى عامر ، أغدة كغدة البكر [١] فى بيت امرأة من بنى سلول ؟!

موت أربَد بَصاعقة : قال ابن إسحاق : ثم خرج أصحابه حين واروه ، حين قدموا أرض بنى عامر شاتين ، فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا : ما وراءك يا أربد ؟ قال : لا شىء . والله ، لقد دعانا إلى عبادة شىء لوددت أنه عندى الآن ، فأرميه بالنبل حتى أقتله ، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقة ، فأحرقتهما ، وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمه [٢] .

شعر لبيد فى بكاء أربد : قال ابن إسحاق : فقال لبيد يبكى أربد :

مَا إنْ تعدِّى المنــونَ من أحد ... لاَ وَالد مشفــق وَلا وَلد
أَخشى على أَرْبَد الحتوفَ وَلا ... أَرْهَب نوْء الســماك والأسد
فَعينِ هلاَّ بكيــت أربدَ إذْ ... قمنا وقامَ النســاءُ فى كبدِ [٣]
إن يَشْغَبوا لا يُبال شغبهــم ... أو يقصدوا فى الحكوم يقتصد
حُلو أريب [٤] وفــى حَلاوته ... مر لطيف الأحشــاء والكبدِ
وعَينِ هلاَّ بكيــتِ أربد إذ ... ألوت رياح الشتــاء بالعضدِ
وأصبحتْ لاقــحا مصرمة ... حين تجــلت غوابر المدد [٥]

(١) الغدة مرض يصيب الإبل تموت منه ، البكر : الفتى من الإبل .

(٢) قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس ! قال : وأنزل الله عز جل فى عامر وأربد : ﴿ **الله يعلم ما تحمــل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد** ﴾ . إلى قوله : ﴿ **وما لهم من دونه من وال** ﴾ .

قال : المعقبات : هى من أمر الله يحفظون محـمدًا ، ثم ذكر أربد وما قتله الله به ، فقال : ﴿ **ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء** ﴾ إلى قوله : ﴿ **شديد المحال** ﴾ .

(٣) الكبد : المشقة والحزن . (٤) الأريب : الداهى الفطن .

(٥) مصرمة : لا لبن فيها . الغوابر : البقايا .

أشجع من ليث غـــابة لحم ... ذو نهمة فى العلا ومنتقدِ (١)
لاَ تبلُغُ العينُ كـــل نهمتهَا ... ليلة تمسى الجـــياد كالقددِ (٢)
البَاعِثُ النـــوح فى مآتمه ... مثل الظباء الأبكار بالجردِ (٣)
فَجَعَنِى البَرق والصَّواعِق بالــ ... فَارسِ يَـــوم الكَريهة النجدِ
والحَارِبُ الجَابِرُ الحَـــريب إذا ... جاء نكيبا وإن يـعـــد يعدِ (٤)
يَعفُو على الجَهْدِ والسؤال كما ... ينبت غيث الربيع ذو الرصدِ (٥)
كُل بنى حَرة مصيـــــرهم ... قل وإن أكثـــرت من العددِ
إن يُغبطوا يَهبطوا وإن أمروا ... يومًا فهم للهـــلاك والنفدِ .

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضًا يبكى أربد :

ألا ذهبَ المُحَافظُ والمُحَامى ... ومَانِع ضَيْمها يوم الخصـــامِ
وأيقنتُ التفرقَ يَوم قَالوا ... تقسم مَال أربَد بالســـهامِ
تطِيرُ عَدائد الأشـــراك شفعًا ... ووترًا والزعامة للغلامِ (٦)
فَودع بالسَّـــلام أبَا حُريز ... وقُل وَدَاعُ أَربَـــد بالسَّلامِ
وكُنتَ إمامنــــا ولَنا نظَامًا ... وكَان الجزع يحفظ بالنظامِ (٧)
وَأَربْدُ فَارِس الهَيْجَا إذَا مَا ... تَقَعَّرت المشــاجر بالفئامِ (٨)
إذَا بَكَر النِّســاء مُرْدِفات ... حَواسِر لايُجئــن على الخدامِ (٩)

---

(١) لحم : كثيرًا من أكل اللحم . منتقد : بصير بالأمور .
(٢) القدد : السيور تصنع من الجلد .
(٣) النوح : جماعة النساء النائحة . الجرد : الأراضى القاحلة .
(٤) الحريب : السالب . والنكيب : المصاب .
(٥) يعفو : يعطى . الرضد : الكلأ القليل .
(٦) العدائد : الأنصباء . الأشراك : الشركاء .
(٧) الجزع : الخرز اليمانى .
(٨) المشاجر : نوع من الهوادج . الفئام : ما يفرش فى الهودج .
(٩) يجئن : يعطين . الخدام مفردها خدمة : الساق .

فَواءَلَ يَوم ذَلك مــــن أَتاهُ كَما وآل المحل إلى الحرامِ (١)
وَيحمد قَدر أَرْبَد مــن عرَاها إذا ما ذُم أرباب اللحـــامِ
وَجارته إذا حَلَّتْ لَديـــــه لَها نَفل وحظ من سنـــامِ
فإن تَقْعُد فمكرمة حصـــان وإن تظعن فمحسنة الكلامِ
وَهلْ حُدِّثْتَ عن أَخوين دَامَا على الأيام إلا ابنى شمامِ (٢)
وإلا الفَرقـــدين وآل نعش خوالد ما تحدث بانهدامِ (٣)

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضًا يبكى أربد :

انْعَ الكَريم للكـــريم أَرْبدَا انْع الرئيـــس واللَّطيفَ كَبدَا
يَحذى ويُعْطِي مَاله لِيحمَدا أدْما يشبـــهن صُوارا أبَّدا (٤)
السَّابل الفَضـــل إذَا ما عُددا وَيملأ الجِفْنَة ملـــئا مَدَدًا (٥)
رِفها إذا يَأتى ضَريك ورَدا مثَل الذى فى الغيل يقرو جمدا(٦)
يَزداد قربا منـــهم أن يُوعدا أورثتنا تراث غـــير أنكدا
غِبا ومالا طـــارفا وولدا شرخًا صقورًا يافعًا وأمردا (٧)

وقال لبيد أيضًا :

لَنْ تُفْنِيَا خَيـــرات أَرْبَد فَأَبْكِيَا حَتـــــى يَعودَا

---

(١) وأل : ألجأ . (٢) ابنا شمام : جبلان .

(٣) الفرقدان : نجمان نيران . وآل نعش يقصد بنات نعش الكبرى والصغرى : مجموعات من النجوم .

(٤) يحذى : يعطى . الأدم : الإبل البـيض . الصور : القطيع من بقر الوحش . أبدا : نافرة .

(٥) الجفنة : وعاء يصنع من خشب الأبنوس .

(٦) رفها : متكررا الضريك : الفقير . الغـيل : أكمة الأسد . يقرو : يتتبع . جمد : اسم جبل .

(٧) الشرخ : أول الشباب ونضارته ، اليافع الغلام البالغ .

قُولاَ هَو البَطَلُ المُحَــــــــامِى حِينَ يَكْســـــونَ الحديدَا

وَيصُد عنَا الظالميـــــــــــنَ إذَا لَقِينَا القـــــومَ صَيدا (١)

فَاعتَاقه رَبُّ البَريَّـــــــــــــة إذَا رَأى أن لا خُلودَا (٢)

فَثَـــــــوى ولَمْ يُوجَع وَلم يُوصَب وكان هـــــــو الفقيدَا

وقال لبيد أيضا :

يَذكرنى بأربـــــــدَ كلَ خِصْمٍ أَلد تختالُ خطتـــــه ضرارًا (٣)

إذا اقتصدوا فمقتـــــصد كريم وإن جاروا ســـــواء الحق جَارا

ويهدى القوم مطلـــــعا إذا ما دليل القـــــوم بالموماة حَارا (٤)

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضًا :

أَصبَحتُ أَمشى بَعد سَلْمى بن مَالكٍ وَبعد أَبى قَيْسٍ وعُرْوة كالأجبُ (٥)

إذَا مَا رأى ظِل الغُرَاب أضَجـــــه حذارًا على باقى السناسن والعصب (٦)

* * *

(١) الصيد : المتكبرون .

(٢) اعتاقه : أعاقه عن أن يبلغ غايته .

(٣) ألد : قوى الخصومة .

(٤) الموماة : الصحراء .

(٥) الأجب : مقطوع السنام من البعير .

(٦) أضجه : صاح عليه . السناسن فقار الظهر .

قدوم ضمام بن ثعلبة وافدًا عن بنى سعد بن بكر

قال ابن إسحاق : وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله ﷺ رجلاً منهم ، يقال له ضمام بن ثعلبة ·

إسلامه : قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن الوليد بن نويفع عن كريب ، مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس ، قال : بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدًا إلى رسول الله ﷺ ، فقدم عليه ، وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس فى أصحابه ، وكان ضمام رجلا جلداً أشعر ذا غديرتين (١) ، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ فى أصحابه ، فقال : أيكم ابن عبد المطلب؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : أنا ابن عبد المطلب · قال : أمحمد ؟ قال : نعم ، قال : يا بن عبد المطلب ، إنى سائلك ومغلظ عليك فى المسئلة ، فلا تجدن فى نفسك، قال : لا أجد فى نفسى ، فسل عما بدا لك ، قال : أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : اللهم نعم ، قال فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نشرك به شيئا · وأن نخلع هذه الأنداد التى كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن نصلى هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهم نعم ، قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة : الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها ، ينشده عند كل فريضة منها ، كما ينشده فى التى قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ، وسأؤدى هذه الفرائض ، وأجتنب ما نهيتنى عنه ، ثم لا أزيد ولا أنقص · ثم انصرف إلى بعيره راجعا · قال : فقال رسول الله ﷺ : إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة ·

دعوة قومه للإسلام : قال : فأتى بعيره فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه · فكان أول ما تكلم به أن قال : بئست اللات والعـــزى !

(١) غديرتين : ذؤابتين من شعر ·

قالوا : مه يا ضمام اتق البرص ، اتق الجنون ! قال : ويلكم ! إنهما والله لا يضران ، ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ، وما نهاكم عنه ، قال : فوالله ما أمسى من ذلك اليوم فى حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلما .

قال : يقول عبد الله بن عباس : فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة .

• ما حدث بين الرسول وبين مسيلمة الكذاب :

قال ابن إسحاق : فكان منزلهم فى دار بنت الحارث امرأة من الأنصار ، ثم من بنى النجار فحدثنى بعض علمائنا من المدينة : أن بنى حنيفة أتت به رسول الله ﷺ تستره بالثياب ، ورسول الله ﷺ جالس فى أصحابه ، معه عسيب من سعف النخل ، فى رأسه خوصات ، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ، وهم يسترونه بالثياب ، كلمه وسأله ، فقال له رسول الله ﷺ : لو سألتنى هذا العسيب ما أعطيتكه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى شيخ من بنى حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا ، زعم أن وفد بنى حنيفة أتوا رسول الله ﷺ ، وخلفوا مسيلمة فى رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا مكانه ، فقالوا : يا رسول الله إنا قد خلفنا صاحبًا لنا فى رحالنا وفى ركابنا يحفظها لنا ، قال : فأمر له رسول الله ﷺ بمثل ما أمر به للقوم ، وقال : أما إنه ليس بشركم مكانا ، أى لحفظه ضيعة أصحابه ، وذلك الذى يريد رسول الله ﷺ .

تنبؤ مُسيلمة : قال : ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ ، وجاءوه بما أعطاه ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذب لهم ، وقال : إنى قد أُشركت فى الأمر معه . وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكرتمونى : أما إنه ليس بشركم مكانا ، ماذاك إلا لما كان يعلم أنى قد أشركت فى الأمر معه ، ثم جعل يسجع لهم الأساجيع ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة [1] للقرآن : « لقد أنعم الله على

(١) مضاهاة : مشابهة .

الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاق [١] وحشى » . وأحل لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله ﷺ بأنه نبى ، فأصفقت [٢] معه حنيفة على ذلك ، فالله أعلم أى ذلك كان .

* * *

قُدوم [٣] زيد الخيل فى وفد طَيىء

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله ﷺ وفد طيىء ، فيهم زيد الخيل ، وهو سيدهم ، فلما انتهوا إليه كلموه ، وعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام فأسلموا ، فحسن إسلامهم ،وقال رسول الله ﷺ ، كما حدثنى من لا آتهم من رجال طيىء ما ذكر لى رجل من العرب بفضل ، ثم جاءنى ، إلا رأيته دون ما يقال فيه ، إلا زيد الخيل ، فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه ، ثم سمَّاه رسول الله ﷺ زيد الخير وقطع له فيدًا وأرضين معه ، وكتب له بذلك ، فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعًا إلى قومه فقال رسول الله ﷺ : إن ينج زيد من حمى المدينة فإنه قال : قد سماها رسول الله ﷺ باسم غير الحمى ، وغير أم ملدم [٤] فلم يثبته . فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه ، يقال له فردة ، أصابته الحمى بها فمات ، ولما أحس زيد بالموت قال :

أمُرْ تَحل قَوْمِى المشَارقَ غدوةً وَأترَكُ فى بَيْتٍ بفَردة منجَد

ألا رُبَّ يَوم لو مَرِضتُ لعَادنى عَوائد من لم يَبر مِنْهن بجهد [٥]

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كتبه ، التى قطع له رسول الله ﷺ فحرقتها بالنار .

* * *

---

(١) الصفاق ما رقَّ من البطن .

(٢) أصفقت : اجتمعت .

(٣) قدوم : أى قدومه يعلن إسلامه .

(٤) والاسم الذى ذهب عنه الراوى من أسماء الحمى ، هو أم كلبة .

(٥) يبرى : يجهد .

قُدُومُ عَدِى بن حَاتم

• هروبه إلى الشام فرارًا من الرسول ﷺ :

وأما عدى بن حاتم فكان يقول ، فيما بلغنى : ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به منى ، أما أنا فكنت امرءًا شريفًا وكنت نصرانيًّا ، وكنت أسير فى قومى بالمرباع (١) فكنت فى نفسى على دين وكنت ملكًا فى قومى ، لما كان يصنع بى فلما سمعت رسول الله ﷺ كرهته ، فقلت لغلام كان لى عربى ، راعيًا لإبلى : لا أبالك ، أعدد لى من إبلى أجمالاً ذللاً (٢) سمانًا ، فاحتبسها قريبًا منى ، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فآذنى ، ففعل ، ثم إنه آتانى ذات غداة ، فقال : يا عدى ما كنت صانعا إذا غشيتك خيل محمد ، فاصنعه الآن، فإنى قد رأيت رايات، فسألت عنها ، فقالوا هذه جيوش محمد . قال : فقلت : فقرب إلىَّ أجمالى ، فقربها ، فاحتملت بأهلى وولدى ، ثم قلت : ألحق بأهل دينى من النصارى بالشام ، فسلكت الجوشية ، وخلفت بنتا (٣) لحاتم فى الحاضر . فلما قدمت الشام أقمت بها .

• **أسر الرسول ابنة حاتم :** وتخالفنى خيل لرسـول الله ﷺ ، فتصيب ابنة حاتم ، فيمن أصابت ، فقدم بها على رسول الله ﷺ فى سبايا من طيىء وقد بلغ رسول الله ﷺ هربى إلى الشام . قال : فجعلت بنت حاتم فى حظيرة بباب المسجد ، كانت السبايا يحبسن فيها ، فمر بها رسول الله ﷺ ، فقامت إليه ، وكانت امرأة جزلة ، فقالت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد فامنن علىَّ منَّ الله عليك . قال : ومن وافدك ؟ قالت : عدى بن حاتم . قال الفارُّ من الله

---

(١) أى آخذ ربع الغنيمة ، وكانت هذه عادة الرؤساء فى الجاهلية لمكانتهم فى قومهم .

(٢) الذلل : السهلة .

(٣) يقول السهيلى : اسمها سفانة ، لأنى وجدت فى خبر عن امرأة حاتم تذكر فيه من سخائه قالت : فأخذ حاتم عديا يعلله من الجوع ، وأخذت أنا سفانة ، ولا يعرف لعدى ولد ، انقرض عقبه ، ولحاتم عقب من قبل عبد الله بن حاتم ، ذكره القتبى ، ولا يعرف له بنت إلا سفانة ، فهى إذا هذه المذكورة فى السيرة . والله أعلم .

ورسوله ؟ قالت : ثم مضى رسول الله ﷺ وتركني، حتى إذا كان من الغد مر بي · فقلت له مثل ذلك ، وقال لي مثل ما قال بالأمس · قالت : حتى إذا كان بعد الغد مر بي وقد يئست منه ، فأشار إليّ رجل من خلفه أن قومي فكلميه ، قالت : فقمت إليه فقلت : يا رسول الله هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن عليّ منّ الله عليك ، فقال ﷺ : قد فعلت ، فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة ، حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذنيني [1] · فسألت عن الرجل الذي أشار إليّ أن أكلمه ، فقيل : علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وأقمت حتى قدم ركب من بَلِي أو قُضاعة ، قالت : وإنما أريد أن آتي أخي بالشام · قالت : فجئت رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، قد قدم رهط من قومي ، لي فيهم ثقة وبلاغ · قالت : فكساني رسول الله ﷺ ، وحملني ، وأعطاني نفقة [2] ، فخرجت معهم حتى قدمت الشام ·

قال عدي : فوالله إن لقاعد في أهلي ، إذ نظرت إلى ظعينة [3] تصوب إليّ تؤمنا ، قال : فقلت ابنة حاتم ، قال : فإذا هي هي ، فلما وقفت عليّ انسحلتْ [4] تقول : القاطع الظالم ، احتملت بأهلك وولدك ، وتركت بقية والدك عورتك ، قال : قلت أي أُخية لا تقولي إلا خيراً ، فوالله ما لي من عذر ، لقد صنعت ما ذكرت ، قال : ثم نزلت فأقامت عندي ، فقلت لها · وكانت امرأة حازمة - ماذا ترين في أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تلحق به سريعًا ، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله ، وإن يكن ملكًا فلن تُذل في عز اليمن ، وأنت أنت [5] قال : قلت : والله إن هذا الرأي ·

---

(١) يا لها من أخلاق فاضلة وشهامة ومروءة من النبي ﷺ حتى مع غير المسلمين ، امرأة غير مسلمة بعد ما أطلق سراحها يخاف عليها أن تسافر لأخيها ، إلا بعد أن يطمئن عليها أنها في مأمن وذلك أنه طلب منها أن تنتظر رفقة من قومها ثقة لتسافر معهم ويطمئن الرسول بنفسه على ذلك !! ·

(٢) وهذا من عظيم كرم النبي ﷺ أن أحسن إليها وأعطاها كساء ، ونفقة تكفيها حتى تصل لأخيها ، فيا ليتنا نتأسى بأخلاق الرسول ﷺ ·

(٣) الظعينة : المرأة في الهودج · (٤) انسحلت : أخذت تلوم ·

(٥) انظر إلى تفكير المرأة ومدى إعمال العقل وحسن نظرها ، على عكس نساء كثيرات اليوم يستخدمن عقولهن في أمور تافهة لا تنفع ·

• إسلام عدى :

قال : فخرجت حتى أقدمُ على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخلت عليه ، وهو فى مسجده ، فسلمتُ عليه ، فقال : من الرجل فقلت : عدى بن حاتم ، فقام رسول لله ﷺ ، فانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه لعامد بى إليه [١] ، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلاً تكلمه فى حاجتها ، قال : قلت فى نفسى والله ما هذا بملك [٢] ، قال : ثم مضى رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بى بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفًا ، فقذفها إلىَّ ، فقال : اجلس على هذه ، قال قلت : بل أنت فاجلس عليها . فقال : بل أنت ، فجلست عليها ، وجلس رسول الله ﷺ بالأرض ، قال : قلت فى نفسى : والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : إيه يا عدى بن حاتم ! ألم تك ركوسيا ؟ قال : قلت : بلى ، قال : أو لم تكن تسير فى قومك بالمرباع قال: قلت: بلى ، قال : فإن ذلك لم يكن يحل لك فى دينك ، قال : قلت : أجل والله ، وقال [٣] : وعرفت أنه نبى مرسل ، يعلم ما يُجهل ، ثم قال : لعلك يا عدى إنما يمنعك من دخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم [٤] ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت [٥] ، لا تخاف ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فُتحت عليهم [٦] ، قال : فأسلمت .

---

(١) أى إلى بيته .

(٢) لما رآه من تواضع الرسول ﷺ الشديد للمرأة وسماعه لها وحل مشكلتها .

(٣) أى عدى بن حاتم .

(٤) أى فقر المسلمين وقلة عددهم .

(٥) أى الكعبة المشرفة .

(٦) وكل ما قاله الرسول ﷺ وتنبأ به هو من أعلام النبوة وقد حدث بالفعل أثناء الفتوحات الإسلامية .

وكان عدى يقول : قد مضت اثنتان [١] وبقيت الثالثة ، ووالله لتكونن[٢] ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت وايم الله لتكونن الثالثة ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه [٣] .

* * *

قُدُوم فَروةَ بن مُسَيْك المُرادى

قال ابن إسحاق : وقدم فروة بن مسيك المرادى على رسول الله ﷺ مفارقًا لملوك كِندة ، ومباعدًا لهم إلى رسول الله ﷺ .

• يوم الردم :

وقد كان قُبيل الإسلام بين مراد وهمدان وقعة ، أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا ، حتى أثخنوهم فى يوم كان يقال له : يوم الردم ، فكان الذى قاد همدان إلى مراد : الأجدع بن مالك فى ذلك اليوم .

قال ابن إسحاق : وفى ذلك اليوم يقول فروة بن مُسيك :

مَرَرْنا على لُفَاة وهنَّ خُوص ... يُنَازِعنْ الأعِنَّة ينتحينَا [٤] .
فَإن نَغلب فغلاَّبون قِدما ... وإن نُغلب فغير مغلبينا [٥]
وَما إن طبنا جَبن ولَكن ... مَنايانا وطُعمة آخرينَا [٦]
كَذاك الدهرُ دولته سِجال ... تكر صُروفه حينا فَحينا
فَبينا ما نسر به ونرضى ... ولو لبست غضارته سنينا

---

(١) أى مما أخبر وتنبأ به الرسول ﷺ .
(٢) وهذا دليل يقينه وتأكده من وعد الرسول بما سيحدث لأنه وحى ووعد من الله .
(٣) حدث هذا فى عهد الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز .
(٤) لفاة : موضع . خوص : غائرات العيون .
(٥) معنى البيت : إن نغلب الناس فهذا من طبيعتنا وما تعودنا عليه منذ القدم . أما وقد انهزمنا مرة فلن تتكرر .
(٦) طبنا : شأننا وعادتنا .

إذْ انقلبتْ بِه كَرَّاتُ دَهْرٍ ... فَألفيت الأُلى غبطوا طَحِينا
فَمن يَغْبط بِريب الدهْرِ منهم ... يَجد رَيْب الزمـــان له خَئُونَا
فَلو خَلد الملوكُ إذنَ خَلَدنا ... وَلو بَقِى الكِرَام إذن بقينا
فَأفنى ذَلكم سَروات قَومى ... كما أفنَى القرون الأَولينَا

قال ابن إسحاق : ولما توجه فروة بن مُسيك إلى رسول الله ﷺ مفارقا لملوك كِندة ، قال :

لما رأيتُ ملوك كِندة أعرضتْ ... كالرجل خَان الرجل عِرق نَسائِها (١)
قَربتُ راحلتى أَؤم محـــمدًا ... أَرجو فواضلها وحُســـــن ثَرائِها

قال ابن إسحاق : فلما انتهى إلى رسـول الله ﷺ ، قال له رسول الله ﷺ ، فيما بلغنى : يا فروة ، هل ساءك ما أصـــاب قومـــك يوم الردم ؟ قال : يا رسول الله ، من ذا يصيب قومه ما أصاب قومى يوم الردم لا يسوءه ذلك ! فقال رسول الله ﷺ له : أما إن ذلك لم يزد قومك فى الإسلام إلا خيرًا .

واستعمله النبى ﷺ على مُراد وزبيد ومذحج كلها ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة ، فكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله ﷺ .

* * *

قُدوم عَمْرو بْنِ مَعْد يكرِب فى أُناس من بَنى زُبيْد

وقدم على رسول الله ﷺ عمرو بن معد يكرب فى أناس من بنى زبيد فأسلم وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادى ، حين انتهى إليهم أمر رسول الله ﷺ يا قيس ، إنك سيد قومك ، وقد ذكر لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز ، يقول إنه نبى ، فانطلق بنا إليه حَتى نعلم علمه ، فإن كان نبيا كما يقول : فإنه لن يخفى عليك . وإذا لقيناه اتبعناه ، وإن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه ، فركب عمرو بن معد يكرب حـــتى قدم على

(١) النساء : عرق يمتد من الورك إلى الكعب ، مده لضرورة الشعر والأصح أنه لا يقال عرق النساء لأن الشىء لا يضاف إلى نفسه على مذهب البصريين وإن جوزه الكوفيون .

رسول الله ﷺ ، فأسلم ، وصدقه وآمن به فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عمرًا ، وتحطم عليه [1] ، وقال : خالفني وترك رأيي فقال عمرو بن معد يكرب في ذلك :

أمَرتُكَ يوم ذى صنـــعا ... ءَ أمرًا بـــــاديًا رشَدُهْ

أمرتُكَ باتقـــــاءِ الله ... والمعـــــــروف تَتَّعده

خَرجتَ مـــن المنى مثل ... الحميــــرِ غَرَّه وَتَده

تَمنَّانـــــى على فَرسٍ ... علـــــيه جالسًا أَسْدُهُ

عَلى مُفاضـــة كالنهــ ... ى أخلص مَاءه جُدَدهْ [2]

تَرد الرمح مُنْثَنى الســـ ... ـــنان عَوائرا قَصَده [3]

فَلو لاَقيتني للَقيــــــــ ... ــتُ ليثًا فوقه لبُدهْ [4]

تَلاقى شَنبثا شثن الــــ ... ـــبراثن ناشزًا كتدهْ [5]

يُسَامى القِرن إن قرن ... تَيممَّــــــه فَيعتضدهْ [6]

فَيأخـــــذه فيرفعـــــه ... فَيخفضــه فَيقتَصدهْ [7]

فَيـــــــدمغه فَيَحْطمهُ ... فَيخضـمـه فَيزدرده [8]

ظَلوم الشرك فيما أحـ ... ـرزت أنيـــــابه وَيده

---

(١) تحطم عليه : اشتد عليه ·

(٢) مفاضة : أى درع مفاضة وهى الواسعة ، النهى : غدير الماء ، الجدد : الأرض الصلبة ·

(٣) عوائر : متطايرة ، القصد : القطع المتطاير من الرمح ·

(٤) اللبد : الشعر الذى على أكتاف ورءوس الأسود ، المفرد لبدة ·

(٥) الشنبث : الذى لا يزال يقصمه · الشثن : غليظ الأصابع · البراثن : مخالب الأسد · ناشز : مرتفع · الكتد : ما بين الكتفين ·

(٦) يعتضده · يضعه تحت عضده فيصرعه ·

(٧) يقتصده : يصرعه ·

(٨) يدمغه : يشج رأسه حتى يـــصل الجرح إلى أم دماغه ، يحطمه : يكسره · يخضمه : يأكله · يزدرده : يبتلعه ·

ارتداد عمرو بعد موت الرسول : قال ابن إسحاق : فأقام عمرو بن معد يكرب فى قومه من بنى زبيد وعليهم فروة بن مسيك ، فلما توفى رسول الله ﷺ ارتد عمرو بن معديكرب وقال حين ارتد :

وجَدنا مُلك فروةَ شرَّ ملك حماراً ساف منــخره بثفرِ (١)
وكنتَ إذا رأيتَ با عمــير ترى الحُوَلاء من خبث وغدرِ (٢)

* * *

قُدُومُ الأَشْعَث بن قَيْس فى وَفْد كِنْدة

• إسْلاَم وَفْد كِنْدة :

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله ﷺ الأشعثُ بن قيس ، فى وفد كِندة فحدثنى الزهرى بن شهاب أنه قدم على رسول الله ﷺ فى ثمانين راكبًا من كَندة فدخلوا على رسول الله ﷺ مسجده ، وقد رجلوا (٣) جممهم (٤) وتكحَّلوا وعليهم جيب الحبرة ، وقد كففوها (٥) بالحرير ، فلما دخلوا علي رسول الله ﷺ قال : ألم تسلموا ؟ قالوا : بلى ، قال : فما بال هذا الحرير فى أعناقكم ، قال : فشقوه منها ، فألقوه (٦) .

ثم قال له الأشعث بن قيس : يا رسول الله ، نحن بنو آكل المرار ، وأنت ابن آكل المرار ، قال فتبسم رسول الله ﷺ وقال : ناسبوا بهذا النسب العــباس بن عبد المطلب ، وربيعة بن الحارث ، وكان العباس وربيعة رجلين تاجرين وكانا إذا شاعا فى بعض العرب ، فسئلا ممن هما ، قالا : نحن بنو آكل المرار ، يتعززان بذلك ،

---

(١) ساف : شم . الثفر للبهائم كالرحم للنساء .

(٢) الحولاء : ما يخرج من الأخلاط مع الولد ساعة الولادة ،يشبه من يهجوه أنه فى الخبث والقذارة مثل الحولاء .

(٣) رجلوا : مشطوا .

(٤) جممهم : الجمم جمع جمة وهى مجتمع شعر مقدم الرأس .

(٥) كففوا : طرزوا حروفها .

(٦) وهذا منتهى الطاعة للرسول ﷺ لأنه نهى عن لبس الحرير والذهب للرجال فقال ﷺ عنهما « حرام على رجال أمتى حل لنسائهم » .

وذلك أن كندة كانوا ملوكا . ثم قال لهم : لا ، بل نحن بنو النضر بن كنانة ، لا نقفوا [١] أُمنا ، ولا ننتفى من أبينا ، فقال الأشعث بن قيس : هل فرغتم يا معشر كِندة ؟ والله لا أسمع رجلا يقولها [٢] إلا ضربته ثمانين .

* * *

قُدوم صُرُدُ بن عبد الله الأَزْدى مُسْلمًا

وقدم على رسول الله ﷺ صرد بن عبد الله الأزدى ، فأسلم ، وحسن إسلامه فى وفد من الأزد ، فأمَّره [٣] رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه . وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك ، من قِبل [٤] اليمن .

قتاله أهل جَرش : فخرج صرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله ﷺ ، حتى نزل بجرش ، وهى يومئذ مدينة معلقة [٥] ، وبها قبائل من قبائــل اليمن ، وقد ضوت [٦] إليهم خثعم ، فدخلوها معهم حين سمعوا بسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم فيها قريبا من شهر ، وامتنعوا فيها منه ثم رجع عنهم قافلا ، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شكر ، ظن أهل جرش أنه إنما ولى عنهم منهزما ، فخرجوا فى طلبه ، حتى إذا أدركوه عطف [٧] عليهم ، فقتلهم قتلا شديدا .

إخبار الرسول بما حدث : وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران ، فبينا هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد صلاة العصر ، إذ قال رسول الله ﷺ : بأى بلاد الله شكر ؟ فقام إليه الجرشيان فقالا : يا رسول الله ، ببلادنا جبل يقال له كشر ؛ وكذلك يسميه أهل جرش ، فقال : إنه ليس بكشر ، ولكنه شكر ؛ قالا : فما شأنه يا رسول الله ؟ قال [٨] : إن بدن الله

---

(١) لا نقفوا أمنا : الاقتفاء والقفو : هو اتباع الشىء ، ومنه يقتفى أثره : أى يتبع طريقه ، ونهجه ، وهنا يريد : لا نتبع نسب أمنا .

(٢) أى يفتخر بقول : نحن بنو آكل المرار .

(٣) أى جعله قائداً لهم . (٤) أى ناحية اليمن .

(٥) أى أنهم معزولون فى مكان بعيد عن الناس ، ولا أحد بجوارهم .

(٦) ضوت : لجأت . (٧) أى ضغط وهجم عليهم .

(٨) وهذا من إخبار الله نبيه بما حدث هناك على حدود اليمن والنبى بالمدينة فسبحان من أعلمه بذلك .

لنحر عنده الآن ، قال : فجلس الرجلان إلى أبى بكر أو إلى عثمان ، فقال لهما : ويحكما ! إن رسول الله ﷺ لينعى لكما قومكما فقوما إلى رسول الله ﷺ فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما ، فقاما إليه فسألاه ذلك ، فقال : اللهم ارفع عنهم ، فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما ، فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبد الله ، فى اليوم الذى قال فيه رسول الله ﷺ ما قال ، وفى الساعة التى ذكر فيها ما ذكر .

• **إسلام أَهْل جرش :**

وخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا ، وحمى لهم حمى حول قريتهم ، على أعلام معلومة ، للفرس والراحلة وللمثيرة ، وبقرة الحرث فمن رعاه من الناس فمالهم سحت ، فقال فى تلك الغزوة رجل من الأزد ، وكانت خثعم تصيب من الأزد فى الجاهلية ، وكانوا يعدون فى الشهر الحرام :

يَا غزوةً ما غزَونا غير خائبــة فِيها البغَالُ وفيها الخيـــلُ والحُمرُ
حَتى أتينا حُميرًا فى مصَانعــها وجَمع خثعم قد شاعتْ لهَا النُّذرُ (١)
إذا وضعتْ غَليلاً كُنتُ أحْمله فَما أُبالى أدانوا بعـــدُ أَم كفَروا (٢)

* * *

قُدوم رَسول مُلوك حِمْيَر بِكتابهم

وقدم على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حِمير ، مقدمه من تبوك ، ورسولهم إليه بإسلامهم ، الحارث بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال والنعمان قِيل (٣) ذى رعين ومعافر وهمدان ، وبعث إليه زرعة ذو يزن مالك بن مرة الرهاوى بإسلامهم ، ومفارقتهم الشرك وأهله .

• **كتَابُ الرسول إليهم :**

فكتَب إليهم رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحـــيم : من محـــمد رسول الله ، إلى الحارث بن

---

(١) المصانع : القرى .

(٢) الغليل : حرارة الجوف من عطش ونحوه .

(٣) قيل : هم الملوك الصغار بعد الملك الأكبر – أى نواب الملك الأكبر ومساعدوه .

• حبس الروم له وشعره ومقتله :

فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه ، طلبوه حتى آخذوه ، فحبسوه عندهم ، فقال في محبسه ذلك :

طَرقتْ سُلَيْمَى مُوهنًا أَصْحــابى ... والرومُ بيَن الباب والقروانِ [(١)]
صَد الخَيال وسَاءه مَا قــد رأى ... وهممتُ أن أغفــى وقد أبكانِى
لاَ تكْحَلنَّ العَيْنَ بَعْدى إثمدًا ... سَلْمَى ولا تَديــن للإتيانِ
ولقْد عَلمتَ أبــا كُبَيشة أَننى ... وَسَطَ الأعزة ولا يحص لسانِى [(٢)]
فَلئن هَلَكْتُ لتفقــدن أخاكم ... وَلئن بقيتُ لتعــرفن مكانِى
ولقد جَمعتُ أَجل ما جَمع الفَتى ... من جودة وشجــاعة وبيانِ

فلما أجمعت الروم لصلبه على ماء لهم ، يقال له عفراء بفلسطين ، قال :

ألا هل أتى سلــمى بأن حَليلها ... على ماءِ عَفراءَ فوق إحدى الرواحِلِ
على ناقة لم يُضرب الفَحل أُمها ... مشذبة أطــرافها بالمنــاجلِ

* * *

إسْلاَم بَنى الحارث بن كَعْب على يَدى خَالد بن الوليد لما سار إليهم

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ، فى شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى ، سنة عشر ، إلى بَنى الحارث بن كعب بنجران وأمره أن

---

(١) الموهن : نحو نصف الليل أو بعد ساعة منه . قروان مثل صفوان : حويض من خشب تسقى فيه الدواب وتلغ فيه الكلاب وفى المثل ما فيها لاعى . قرو : أى لاعق قرو .
(٢) لا يحص: لا يقطع .

يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثًا ، فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم ، فخرج خالد حتى قدم عليهم ، فبعث الركبان يضربون فى كل وجه ، ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون أيها الناس ، أسلموا . فأسلم الناس ، ودخلوا فيما دُعوا إليه ، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، وبذلك كان أمره رسول الله ﷺ إن هم أسلموا ولم يقاتلوا .

ثم كتب خالد بن الوليد : إلى رسول الله ﷺ ، من خالد بن الوليد ، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد : يا رسول الله ﷺ ، فإنك بعثتنى إلى بنى الحارث بن كعب ، وأمرتنى إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا أقمت فيهم ، وقبلت منهم ، وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم . وإنى قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام ، كما أمرنى رسول الله ﷺ ، وبعثت فيهم ركبانا قالوا : يا بنى الحارث ، أسلموا تسلموا ، فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مقيم بين أظهرهم ، آمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبى ﷺ حتى يكتب إلىّ رسول الله ﷺ ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

فكتب إليه رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبى رسول الله ، إلى خالد بن الوليد سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو .

أما بعد :

فإن كتابك جاءنى مع رسولك تخبر أن بنى الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبدُ الله ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم ، وأقبل وليقبل معك وفدهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

• قُدوم خَالد مع وفدهم على الرسول :

فأقبل خالد إلى رسول الله ﷺ ، وأقبل معه وفد بنى الحارث بن كعب ،

منهم قَيس بن الحصين ذِى الغُصة (١) ويزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن المحجل وعبد الله بن قراد الزيادى ، وشداد بن عبد الله القنانى ، وعمرو بن عبد الله الضبابى فلما قدموا على رسول الله ﷺ فرآهم . قال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ، قيل : يا رسول الله ، هؤلاء رجال بنى الحارث بن كعب ، فلما وقفوا على رسول الله ﷺ سلموا عليه،وقالوا : نشهد أنك رسول الله ، وأنه لا إله إلا الله ، قال رسول الله ﷺ : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، ثم قال رسول الله ﷺ : أنتم الذين إذا زجروا استقدموا : فسكتوا ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثانية ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثالثة ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الرابعة ، فقال يزيد بن عبد المدان : نعم يا رسول الله ، نحن الذين إذا زجروا استقدموا ، قالها أربع مِرار (٢) ، فقال رسول الله ﷺ : لو أن خالداً لم يكتب إلىَّ أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا ، لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم ، فقال يزيد ابن عبد المدان : أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالداً ، قال : فمن حمدتم ؟ قالوا : حمدنا الله عز وجل الذى هدانا بك يا رسول الله ، قال : صدقتم . ثم قال رسول الله ﷺ : بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحداً ، قال: بلى ، قد كنتم تغلبون من قاتلكم ، قالوا : كنا نغلب من قاتلنا ، يا رسول الله إنا كنا نجتمع ولا نفترق ، ولا نبدأ أحداً بظلم ، قال : صدقتم ، وأمَّر رسول الله ﷺ على بنى الحارث بن كعب قيس بن الحصين فرجع وفد بنى الحارث إلى قومهم فى بقية من شوال ، أو فى صدر ذى القعدة ، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر ، حتى توفى رسول الله ﷺ ، ورحم ، وبارك ، ورضى وأنعم .

الرسول يَبْعَث عَمْرو بن حزم بِعهدِه إليهم : وقد كان رسول الله ﷺ بعث إليهم بعد أن ولى وفدهم عمرو بن حزم ، ليفقههم فى الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده ، وأمره فيه بأمره:

---

(١) ذو الغصة : سمى بذلك لغصة فى حلقه لا يكاد يبين منها ، واسمه الحسين بن يزيد بن شداد الحارثى . ذكره عمر بن الخطاب يوما فقال : لا تزاد امرأة فى صداقها عن كذا وكذا ولو كانت بنت ذى الغصة .

(٢) جمع مرة أى مرات .

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا بيان من الله ورسوله ، يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهد من محمد النبى رسول الله لعمرو بن حزم ، حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله فى آمره كله فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحق كما آمره الله ، وأن يبشر الناس بالخير ، ويأمرهـــم به ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم فيه ، وينهى الناس . فلا يمس القرآنَ إنسانٌ إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذى لهم ، والذى عليهم ، ويلين للناس فى الحق ، ويشتد عليهم فى الظلم ، فإن الله كره الظلم ، ونهى عنه ، فقال : ﴿ **ألا لعنةُ الله على الظالمين** ﴾ ويبشر الناس بالجنة وبعملها ، وينذر الناس النار وعملها ، ويستألف الناس حتى يفقهوا فى الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته ، وما أمر الله به ، والحج الأكبر : الحج الأكبر ، والحج الأصغر : هو العمرة ، وينهى الناس أن يصلى أحد فى ثوب واحد صغير ، إلا أن يكون ثوبا يثنى طرفيه على عاتقيه وينهى الناس أن يحتبى أحد فى ثوب واحد يفضى بفرجه إلى السماء ، وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه فى قفاه ، وينهى إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعواهم إلى الله عز وجل وحده لا شريك له ، فمن لم يدع إلى الله ، ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطفوا بالسيف ، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله ، وأمر بالصلاة ، لوقتها ، وإتمام الركوع والسجود والخشوع ويغلِّس بالصبح ، ويهجر بالهاجرة حين تميل الشمس ، وصلاة العصر والشمس فى الأرض مدبرة ، والمغرب حين يقبل الليل ، لا يؤخر حتى تبدو النجوم فى السماء ، والعشاء أول الليل ، وأمر بالسعى إلى الجمعة إذا نودى لها ، والغسل عند الرواح إليها ، وأمره أن يأخذ من المغانم خمس الله : وما كتب على المؤمنين فى الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء ، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر ، وفى كل عشر من الإبل شاتان ، وفى كل عشرين أربع شياه وفى كل أربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تبيع ، جذع أو جذعة ، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة فإنها فريـــضة الله التى افترض على المؤمنين فى الصدقة . فمن زاد خيراً فهو خير له ، وأنه من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاما خالصًا من نفسه ودان بدين الإسلام . فإنه من المؤمنين ، له مثل مالهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يرد عنها ، وعلى كل حالم :

ذكر أو أنثى ، حرٌّ أو عبد ، دينار واف أو عوضه ثيابًا فمن أدى ذلك ، فإن له ذمة الله ورسوله ، ومن منع ذلك فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعًا ، صلوات الله على محمد ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

* * *

قُدُوم رِفَاعَة بن زَيْد الجُذَامى

• إسْلاَمه وكتَابُ الرسول إلى قَوْمه :

وقدم على رسول الله ﷺ فى هدنَةَ الحديبية ، قبل خَيبر ، رفاعة بن زيد الجُذَامى ثم الضبيبى ، فأهدى لرسول الله ﷺ غُلامًا ، وأسلم ، فحسن إسلامه وكتب له رسول الله ﷺ كتابًا إلى قومه . وفى كتابه :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد رسول الله ، لرفاعة بن زيد ، إنى بعثته إلى قومه عامة . ومن دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله . فمن أقبل منهم ففى حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين . فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحرة : حَرة الرجلاء ، ونزلوها (١) .

* * *

ذكْر الكذَّابَين ؛ مُسَيْلَمة الحَنَفى والأسود العَنَسى :

قال ابن إسحاق : وقد كان تكلم فى عهد رسول الله ﷺ الكذابان مسيلمة ابن حبيب باليمامة (٢) فى بَنى حنيفة ، والأسود بن كعب العنسى بصنعاء .

---

(١) قال ابن هشام : وقدم بعد ذلك وفد همدان منهم : مالك بن نمط ، وأبو ثور ، وهو ذو المشعار ، ومالك بن أيفع وضمام بن مالك السلمانى ، وعميرة بن مالك الخارفى ، فلقوا رسول الله ﷺ مرجعه - أى عند رجوعه - من تبوك فكتب لهم رسول الله ﷺ كتابًا على أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويأكلون علافها ويرعون عافيها ، ولهم بذلك عهد الله وذمة رسوله ، وشهد المهاجرون والأنصار .

(٢) أخبر عنه النبى ﷺ وأشار إلى المشرق قائلا : « من هنا يخرج قرن الشيطان » ونصر الله المسلمين فى غزوة اليمامة فى عهد الصديق أبى بكر رضي الله عنه - وقتلوا مسيلمة الذى ادَّعى النبوة وقتله وحشى الذى قتل قبل إسلامه سيدنا حمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ ، وقال وحشى عن حربته . قتلتُ بها خير الناس (يقصد حمزة) وقتلت بها شر الناس (يقصد مسيلمة) .

● **رؤْيَا الرسول ﷺ فيهما :**

قال ابن إسحاق : حدثنى يزيد عن عبد الله بن قسيط . عن عطاء بن يسار أو أخيه سليمان بن يسار ، عن أبى سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس على منبره ، وهو يقول : أيها الناس ، إنى قد رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها ورأيت فى ذراعى سوارين من ذهب ، فكرهتهما ، فنفختهما فطارا : فأولتهما هذين الكذابين . صاحب اليمن ، وصاحب اليمامة .

● **حديث الرسول عن الدجالين :**

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن أبى هريرة أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً ، كلهم يدعى النبوة .

* * *

خُروج الأُمَراءِ والعُمَّال على الصدَقَات

قال ابن إسحاق : وكانَ رسول الله ﷺ قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات . إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان ، فبعث المهاجر بن أبى أمية ابن المغيرة إلى صنعاء .

فخرج عليه العنسى وهو بها . وبعث زياد بن لبيد أخا بنى بياضة الأنصارى إلى حضرموت وعلى صدقاتها وبعث عدى بن حاتم على طىء وصدقاتها . وعلى بنى أسد ، وبعث مالك بن نويرة على صدقات بنى حنظلة وفرق صدقة بنى سعد على رجلين منهم . فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية منها . وقيس بن عاصم على ناحية وكان قد بعث العلاء بن الحضرمى على البحرين ، وبعث على بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى أهل نجران . ليجمع صدقتهم ويقدم عليه بجزيتهم .

* * *

كتَاب مُسَيْلَمة إلى رسول الله والجواب عنه

وقد كاَن مُسليمة بن حبيب ، قد كتب إلى رسول الله ﷺ : من مسيلمة رسول الله ، إلى محمد رسول الله : سلام عليك ، أما بعد ، فإنى قد أُشركت فى الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ، ولقريش نصف الأرض ، ولكن قريشا قوم يعتدون .

فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب .

قال ابن إسحاق : فحدثنى شيخ من أشجع ، عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعى ، عن أبيه نعيم ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لهما حين قرأ كتابه « فما تقولان أنتما ؟ قالا : نقول : كما قال ، فقال : أما والله لولا أن الرسل لا تُقتل لضربت أعناقكما » (١) .

ثم كتب إلى مسيلمة : بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب : السلام على من اتبع الهدى ؛أما بعد : فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

وذلك فى آخر سنة عشر .

* * *

حَجَّةُ الوَدَاع

تَجَهُّز الرسول : قال ابن إسحاق : فلما دخل على رسول الله ﷺ ذو القعدة تجهز للحج ، وأمر الناس بالجهاز له .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة زوج النبى ﷺ ، قالت: خرج رسول الله ﷺ إلى الحج لخمس ليال بقين من ذى القعدة (٢) .

حكم الحائض فى الحج : قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة . قالت : لا يذكر الناس إلا الحج ، حتى إذا كان بسرف وقد ساق رسول الله ﷺ معه الهدى ، وأشراف من أشراف الناس ، أمر الناس أن يحلوا بعمرة إلا من ساق الهدى ، قالت : وحضت ذلك اليوم . فدخل على وأنا أبكى ، فقال : مالك يا عائشة ؟ لعلك نفست ؟ قالت . قلت : نعم . والله لوددت أنى لم أخرج معكم عامى فى هذا

---

(١) وهنا يتبين احترام الرسول ﷺ للعهود والمواثيق الدولية حتى مع الكفار الذين يختلفون معه فى العقيدة ، ويبلغونه رسالة من كافر لكنه أحسن إليهم ولم يقتلهم .

(٢) واستعمل النبى ﷺ على المدينة أبا دجانة الساعدى .

السفر ، فقال : لا تقولن ذلك . فإنك تقضين كل ما يقضى الحاج إلا أنك لا تطوفين بالبيت . قالت : ودخل رسول الله ﷺ بمكة ، فحل كل من كان لا هدى معه وحل نساؤه بعمرة ، فلما كان يوم النحر أُتيت بلحم بقر كثير فطرح فى بيتى ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : ذبح رسول الله ﷺ عن نسائه البقر حتى إذا كانت ليلة الحصبة بعث بى رسول الله ﷺ مع أخى عبد الرحمن بن أبى بكر فأعمرنى من التنعيم ، مكان عمرتى التى فاتتنى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر عن حفصة بنت عمر ، قالت : لما أمر رسول الله ﷺ نساءه أن يحللن بعمرة .

قلنا : فما يمنعك يا رسول الله إن تحل معنا ؟ فقال : إنى أهديتُ ولبدتُّ [(١)] فلا أحل حتى أنحر هديى .

* * *

مُوَافَاةُ عَلى رضي الله عنه فى قفُوله من اليمن

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح : أن رسول الله ﷺ كان بعث عليا رضي الله عنه إلى نجران ، فلقيه بمكة وقد أحرم ، فدخل على فاطـــمة بنت رسول الله ﷺ ورضى الله عنها ، فوجدها قد حلت وتهيأت ، فقال : مالك يا بنت رسول الله ؟ قالت : أمرنا رسول الله ﷺ أن نحل بعمرة فحللنا ، ثم أتى رسول الله ﷺ فلما فرغ من الخبر عن سفره ، قال له رسـول الله ، : انطلق فطف بالبيت ، وحل كما حل أصحابك ، قال : يا رسول الله ، إنى أهللتُ كما أهللتَ ، فقال : ارجع فاحلل كما حل أصحابك ، قال : يا رسول الله ، إنى قلت حين أحرمت : اللهم إنى أهل بما أهل به نبيك وعبدك ورسولك محمد ﷺ قال : فهل معك من هدى ؟ قال : لا . فأشركه رسول الله ﷺ فى هديه ، وثبت على إحرامه مع رسول الله ﷺ حتى فرغا من الحج ونحر رسول الله ﷺ الهدى عنهما .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عمرة عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، قال : لما أقبل عـــلى رضي الله عنه من اليمن ليلقى

---

(١) لبد شعره ألزقه بشىء لزج كصمغ ونحوه حتى لا يتساقط شىء فيكون عليه فدية .

رسول الله ﷺ بمكة ، تعجَّل إلى رسول الله ﷺ واستخلف على جنده الذين معه رجل من أصحابه ، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حِلة من البز الذى كان مع على ﷺ ، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم ، فإذا عليهم الحُلَل ، قال : ويلك ما هذا ؟!

قال : كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا فى الناس ، قال : ويلك ! انزع قبل أن تنتهى به إلى رسول الله ﷺ قال : فانتزع الحلل من الناس ، فردها فى البز ، قال : وأظهر الجيش شكواه لما صُنع بهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن عبد الرحمن بن حزم بن معمر بن حزم عن سليمان بن محمد بن كعب بن عُجرة عن عمته زينب بنت كعب ، وكانت عند أبى سعيد الخدرىِّ ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : اشتكى الناس عليًّا رضوان الله عليه ، فقام رسول الله ﷺ فينا خطيبا ، فسمعته يقول : أيها الناس ، لا تشكوا عليا ، فوالله إنه لأخشن فى ذات الله ، أو فى سبيل الله ، من أن يُشكى .

خُطْبة الوداع : قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله ﷺ على حجه ، فأرى الناس مناسكهم ، وأعلمهم سنن حجهم ، وخطب الناس خطبته التى بيَّن فيها ما بين ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، اسمعوا قولى ، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدًا ، أيها الناس ، إنَّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن كل ربًا موضوع ، ولكن لكم رءوس أموالكم ، لا تَظلمون ولا تُظلمون قضى الله أنه لا ربا ، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله ، وأن كل دم كان فى الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعا فى بنى ليث ، فقتلته هذيل فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية أما بعد أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم ، أيها الناس : إن النسىء زيادة فى الكفر ، يُضَل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ويحرمونه عاما ، ليواطئوا عدة ما حرَّم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم

خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر (١) ، الذى بين جمادى وشعبان .

أما بعد أيها الناس ، فإن لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربًا غير مبرح (٢) فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرًا . فإنهن عندكم عوان (٣) لا يملكن لأنفسهن شيئًا وأنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله . واستحللتم فروجهن بكلمات الله . فاعقلوا أيها الناس قولى . فإنى قد بلَّغت وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا . أمرا بينا . كتاب الله وسنة نبيه . أيها الناس : اسمعوا قولى واعقلوه تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم . وأن المسلمين إخوة . فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمنَّ أنفسكم . اللهم هل بلغت ؟

فذكر لى الناس قالوا : اللهم نعم . فقال رسول الله ﷺ : اللهم اشهد .

• اسم الصَّارخ بتبليغ ما يقوله رسول الله ﷺ :

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير . عن أبيه عباد قال كان الرجل الذى يصرخ فى الناس بقول رسول الله ﷺ وهو بعرفة ربيعة بن أمية بن خلف قال : يقول له رسول الله ﷺ : قل يا أيها الناس ، إن رسول الله ﷺ يقول : هل تدرون أى شهر هذا ؟ فيقول لهم . فيقولون : الشهر الحرام ، فيقول له قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا . ثم يقول : قل يا أيها الناس ، إن رسول الله ، يقول : هل

---

(١) رجب مضر ، إنما قال ذلك لأن ربيعة كانت تحرم شهر رمضان ، وتسميه : رجبا من رجبت الرجل ورجبته إذا عظمته ، ورجبت النخلة إذا دعمتها ، فبين عليه السلام أنه رجب مضر لا رجب ربيعة ، وأنه الذى بين جمادى وشعبان .

(٢) غير مبرح : غير شديد .

(٣) عوان : أسيرات ، المفرد : عانية .

تدرون أى بلد هذا ؟ قال : فيصرخ به . قال : فيقولون البلد الحرام ، قال : فيقول قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا .

قال : ثم يقول : قل : يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ يقول : هل تدرون أى يوم هذا ؟ قال : فيقوله لهم . فيقولون يوم الحج الأكبر ، قال فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا .

قال ابن إسحاق : حدثنى ليث بن أبى سليم عن شهر بن حوشب الأشعرى ، عن عمرو بن خارجة قال : بعثنى عتاب بن أسيد إلى رسول الله ﷺ فى حاجة ، ورسول الله ﷺ واقف بعرفة ، فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله ﷺ وإن لغُامها ليقع على رأسى ، فسمعته وهو يقول : أيها الناس إن الله قد أدى إلى كل ذى حق حقه وإنه لا تجوز وصية لوارث ، والولد للفراش وللعاهر الحجر ، ومن ادَّعى إلى غير أبيه . أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا .

تعاليم الرسول عليه السلام للحاج : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح : أن رسول الله ﷺ حين وقف بعرفة ، قال : هذا الموقف ، للجبل [(١)] الذى هو عليه ، وكل عرفة موقف . وقال حين وقف على قزح [(٢)] صبيحة المزدلفة : هذا الموقف ، وكل المزدلفة موقف . ثم لما نحر بالمنحر بمنى قال هذا المنحر ، وكل منى منحر ، فقضى رسول الله ﷺ وقد أراهم مناسكهم ، وأعلمهم ما فرض الله

(١) وهو جبل عرفة وقال ﷺ : « الحج عرفة » لأن يوم عرفة خير يوم طلعت فيه الشمس ، وفيه ينهزم الشيطان وأكبر خسارة فادحة لإبليس اللعين لما يرى من مغفرة الله للمؤمنين الحاجين وغير الحاجين ، وذلك أن الحاج إذا قبل الله حجه وكان مبرورًا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ورجع من حجه كيوم ولدته أمه هذا للحاج ، أما غير الحاج ومن لم يستطع فقد شرع له النبى ﷺ صوم يوم عرفة وذلك لعظم فضل هذا اليوم ، وتعويضًا من الله لعباده غير القادرين على الحج لتقارب مرتبتهم مرتبة الحاج فقال ﷺ عن صوم يوم عرفة : « يكفِّر - يغفر - سنة ماضية » ، وفى رواية « يكفر سنة ماضية وسنة باقية » وذلك بشرط عدم فعل الكبائر .

(٢) قزح : جبل بالمزدلفة .

عليهم من حجهم : من الموقف ، ورمى الجمار ، وطواف بالبيت ، وما أحل لهم من حجهم ، وما حرم عليهم ، فكانت حجة البلاغ ، وحجة الوداع ، وذلك أن رسول الله ﷺ لم يحج بعدها .

* * *

بَعْثُ أُسَامَةَ بن زَيْدٍ إلى أَرضِ فَلَسْطِين

قال ابن إسحاق : ثم قفل رسول الله ﷺ ، فأقام بالمدينة بقية ذى الحجة والمحرم وصفر ، وضرب على الناس بعثا إلى الشام ، وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة مولاه وأمره أن يوطىء الخيل تخوم (١) البلقاء . والداروم من أرض فلسطين ، فتجهز الناس ، وأوعب (٢) مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون .

● أسماء الرُّسل ومَن أُرْسِل إليهم :

فبعث رسول الله ﷺ رُسلا من أصحابه ، وكتب معهم كتبا إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام . فبعث دحية بن خليفة الكلبى (٣) إلى قيصر ملك الروم ، وبعث عبد الله بن حذافة السهمى إلى كسرى ملك فارس ، وبعث عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ملك الحبشة ، وبعث حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية ، وبعث عمرو بن العاص السهمى إلى جيفر وعياد ابنى الجلندى الأزديين ملكى عمان ، وبعث سليط بن عمرو أحد بنى عامر بن لؤى إلى ثمامة بن أثال ، وهوذة بن على الحنفيين ملكى اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرمى إلى المنذر ابن ساوى العبدى ملك البحرين ، وبعث شجاع بن وهب الأسدى إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك تخوم بالشام .

قال ابن إسحاق : حدثنى يزيد بن أبى حبيب المصرى : أنه وجد كتابًا فيه ذكر من بعث رسول الله ﷺ إلى البلدان وملوك العرب والعجم ، وما قال لأصحابه حين بعثهم قال : فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزهرى فعرفه . وفيه : أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه فقال لهم : إن الله بعثنى رحمة وكافة .

(١) تخوم : أى حدود .

(٢) أوعب : اجتمع .

(٣) وهو الذى كان سيدنا جبريل عليه السلام ينزل فى صورته .

فأدوا عنى يرحمكم الله ولا تختلفوا علىَّ كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم قالوا : وكيف يا رسول الله كان اختلافهم ؟ قال : دعاهم لمثل ما دعوتكم له ، فأما من قرب به فأحب وسلم وأما من بعد به فكره وأبى · فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله · فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذى وجه إليهم ·

• أسْمَاء رُسل عِيسى :

قال ابن إسحاق : وكان من بعث عيسى ابن مريم عليه السلام من الحواريين والأتباع الذين كانوا بعدهم فى الأرض ، بطرس الحوارى · ومعه بولس ، وكان بولس من الأتباع (١) · ولم يكن من الحواريين إلى روميه واندرائس ومتَّى إلى الأرض التى يأكل أهلها الناس ، وتوماس إلى أرض بابل من أرض المشرق ، وفيلبس إلى أرض قرطاجنة ، وهى إفريقية ، ويحنس إلى أفسوس قرية الفتية أصحاب الكهف ، ويعقوبس إلى أورشليم وهى إيلياء قرية ببيت المقدس ، وابن ثلماء إلى الأعرابية وهى أرض الحجاز ، وسيمن إلى أرض البربر ، ويهوذا ولم يكن من الحواريين جعل مكان يودس ·

* * *

ذكْرُ جُملة الغَزَوات

بسمَ الله الرحمن الرحَيم

قال ابن إسحاق : وكان جميع ما غزا رسول الله ﷺ بنفسه سبعًا وعشرين غزوة منها ، غزوة ودان ، وهى غزوة الأبواء ، ثم غزوة بواط ، من ناحية رَضوى (٢) ، ثم غزوة العشيرة ، من بطن ينبع ، ثم غزوة بدر الأولى ، يطلب كرز ابن جابر ، ثم غزوة بدر الكبري ، التى قتل الله فيها صناديد قريش ، ثم غزوة بنى سليم ، حتى بلغ الكدر ، ثم غزوة السويق ، بطلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزوة غطفان ، وهى غزوة ذى أمر ، ثم غزوة بحران ، معدن بالحجار ، ثم غروة أُحد ، ثم غزوة حمراء الأسد ، ثم غزوة بنى النضير ، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل ، ثم غزوة بدر الآخرة ، ثم غزوة دومة الجندل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بنى قريظة،

(١) الحواريين أكثر صحبة من الأتباع ·

(٢) رضوى : اسم جبل بالمدينة ·

ثم غزوة بنى لحيان ، من هذيل ، ثم غزوة ذى قرد ، ثم غزوة بنى المصطلق من خزاعة ثم غزوة الحديبية ، لا يريد قتالا ، فصده المشركون ، ثم غزوة خيبر ، ثم غزوة القضاء ، ثم غزوة الفتح ، ثم غزوة حنين ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تبوك . قاتل منها فى تسع غزوات : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف .

* * *

ذِكْرُ جُمْلَةِ السَّرَايا والبُعوث

وكانت بعوثه صلى الله عليه وسلم وسراياه ثمانيًا وثلاثين ، من بين بعث وسرية : غزوة عبيدة بن الحارث أسفل من ثنية ذى المروة ، ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب ساحل البحر ، من ناحية العيص ، وبعض الناس يقدم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة ، وغزوة سعد بن أبى وقاص الخرار ، وغزوة عبد الله بن جحش نخلة ، وغزوة زيد بن حارثة القردة ، وغزوة محمد بن مسلمة : كعب بن الأشرف ، وغزوة مرثد بن أبى مرثد الغنوى الرجيع ، وغزوة المنذر بن عمرو بئر معونة ، وغزوة أبى عبيدة بن الجراح ذا القصَّة ، من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخطاب تربة من أرض بنى عامر ، وغزو على بن أبى طالب اليمن ، وغزوة غالب بن عبد الله الكلبى ، كلب ليث ، الكديد ، فأصاب بنى الملوَّح .

* * *

غَزْوة غَالب بن عبد الله اللَّيْثى بنى الملوَّح

● **شأن ابن البَرْصَاء :**

وكان من حديثها أن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، حدثنى عن مسلم بن عبد الله بن حبيب الجهنى ، عن جندب بن مكيث الجهنى ، قال : بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبى ، كلب بن عوف بن ليث ، فى سرية كنت فيها ، وأمره أن يشن الغارة على بنى الملوَّح ، وهم بالكديد ، فخرجنا ، حتى إذا كنا بقديد لقينا الحارث بن مالك ، وهو ابن البرصاء الليثى ، فأخذناه ، فقال : إنى جئت أريد الإسلام ، ما خرجت إلا إلى رسول الله ﷺ فقلنا له : إن تك مسلمًا فلن يضيرك رباط ليلة ، وإن تَكُ على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك ،

فشددناه رباطًا ، ثم خلفنا عليه رجلا من أصحابنا أســود ، وقلنا له : إن عازك (١) فاحتز رأسه .

• بَلاءُ ابن مُكَيْث في هذه الغَزْوة :

قال : ثم سرنا حتى أتينا الكَديد عند غروب الشمس ، فكنا فى ناحية الوادى ، وبعثنى أصحابى ربيئة (٢) لهم ، فخرجت حتى آتى تلا مشرفًا على الحاضر (٣) ، فأسندت فيه (٤) ، فعلوت على رأسه ، فنظرت إلى الحاضر ، فوالله إنى لمنبطح على التل إذ خرج رجل منهم من خبائه ، فقال لامرأته : إنى لأرى على التل سوادا ما رأيته فى أول يومى ، فانظرى إلى أوعيتك هل تفقدين منها شيئًا ، لا تكون الكلاب جرَّت بعضها ، قال : فنظرت ، فقالت : لا ، والله ما أفقد شيئًا ، فقال : فناولينى قوسى وسهمين ، فناولته ، قال : فأرسل سهمًا ، فوالله ما أخطأ جنبى ، فأنزعه ، فأضعه ، وثبت مكانى قال ثم أرسل الآخر فوضعه فى منكبى فأنزعه فأضعه وثبت مكانى فقال لامرأته : لو كان ربيئة لقد خالطه سهماى لا أبالك ، إذا أصبحت فابتغيهما ، فخذيهما ، لا يمضغهما على الكلاب قال : ثم دخل .

• نجاة المسلمين بالنَّعَم :

قال : وأمهلناهم حتى إذا اطمأنوا وناموا ، وكان فى وجه السَّحر ، شننا عليهم الغارة ، قال فقتلنا ، واستقنا النَّعم ، وخرج صريخ القوم (٥) فجاءنا دهم (٦) لا قبل لنا به ، ومضينا بالنعم ، ومررنا بابن البرصاء وصاحبه ، فاحتملناهما معنا ، قال : وأدركنا القوم حتى قربوا منا ، قال : فما بيننا وبينهم إلا وادى قديد ، فأرسل الله الوادى بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا مطر ، فجاء بشىء ليس لأحد به قوة ، ولا يقدر على أن يجاوزه ، فوقفوا ينظرون إلينا ، وإنا لنسوق نعمهم ، ما يستطيع منهم رجل أن يجيز إلينا ، ونحن نحدوها سراعا ، حتى فتناهم ، فلم يقدروا على طلبنا .

قال : فقدمنا بها على رسول الله ﷺ .

---

(١) عازك : غالبك . (٢) الربيئة : الطليعة التى تتجسس الأخبار .

(٣) الحاضر : الجماعة الذين ينزلون على الماء .

(٤) أسندت : ارتفعت . (٥) أى مستغيثهم .

(٦) الدهم : الجماعة الكثيرة .

السيرة النبوية